بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن مفتاح الوعى بحقيقة أى قضية من القضايا أو مشكلة من المشكلات إنما يبدأ بتحديد «**طبيعة القضية أو المشكلة**» . .

ولقد كتب الكثيرون -ولا تزال تتوالى الكتابات- عن الفتنة الطائفية فى مصر . . لكن أكثر هذه الكتابات قد سلط كل الأضواء على الجانب الدينى للقضية، فقدمت المسألة باعتبارها قائمة بين المسيحية والإسلام، بين المسيحيين والمسلمين . . وقائمة حول بناء الكنائس . . وتولّى بعض الوظائف . . إلخ . . إلخ . .

وميزة هذا الكتاب -الذى نقدم لطبعته الجديدة -أنه يختلف اختلافًا جذرياً مع هذه النظرة لطبيعة «الفتنة الطائفية» فى مصر . . ذلك أن مصر -وعبر تاريخها الإسلامى- يعيش فيها كل ألوان الطيف المسيحى - الأقباط الأرثوذكس- وهم أغلبية المسيحيين المصريين . . والكاثوليك . . والإنجيليون . . والأسقفيون . . والموارنة . . والأرمن الكاثوليك . . والأرمن الأرثوذكس . . والروم الكاثوليك . . وغيرهم من الطوائف المسيحية . . **فلماذا تتركز الفتنة ويتركز التوتر -وأحيانًا العنف- فى الإطار الأرثوذكسى، دون بقية المسيحيين المصريين؟!** . .

ثم.. إن هذه الفتنة لم تكن موجودة -حتى فى الإطار الأرثوذكسى- قبل مجىء البابا شنودة بطركا للكنيسة الأرثوذكسية فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧١م.. فهى -هذه الفتنة- ليست بنت الأرثوذكسية، ولا هى لصيقة بها.. وإلا لكانت قائمة -تاريخياً- طوال تاريخ الأرثوذكسية مع الإسلام والمسلمين!.

● لقد بدأت أحداث التوتر الطائفى والفتنة الطائفية بأحداث الخانكة سنة ١٩٧٢م- عندما كانت «روح الدولة» فى الحلقوم.. تعد لحرب أكتوبر، كى تسترد الأرض المحتلة، وتخرج الأمة من الهوان.. وكانت الحركة الإسلامية -يومها- رهينة السجون والمعتقلات.

ومنذ ذلك التاريخ تغير -فى مصر- الرؤساء.. وتغيرت الحكومات.. وتبدلت السياسات -مع بقاء الفتنة الطائفية، بل وتصاعدها.. لا لأنها مشكلة دينية -فبقية الطوائف المسيحية غير منخرطة فيها.. ولا لأنها مشكلة أرثوذكسية، فلم تكن قائمة لدى الأرثوذكس قبل مجىء البابا شنودة.. الأمر الذى يفتح الباب للتساؤل عن الطبيعة الحقيقية لهذه المشكلة.. وهو التساؤل الذى ربما تفرد بالإجابة عليه هذا الكتاب..

إن المخطط الإمبريالى الصليبى الصهيونى لتفتيت العالم الإسلامى -لقطع الطريق على البعث الجديد للحضارة الإسلامية.. ولتحقيق الأمن للكيان الصهيونى.. ولاستدامة النهب الاستعمارى لثروات العالم الإسلامى-.. إن هذا المخطط -المكتوب.. والمعلن[1] -قد بدأ وضعه

---

(١) انظر وثائق هذا المخطط بكتابنا [الغرب والإسلام.. تاريخ من الغزو والتزييف وغواية الأقليات] ص١٣٣- ١٤٣ طبعة مكتبة وهبة -القاهرة سنة ٢٠١١م.

فى التطبيق- فى المرحلة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية، وصعود النجم الأمريكى -بإقامة الكيان الصهيونى على أرض فلسطين -سنة ١٩٤٨م.

- وسيجد القارئ لهذا الكتاب أن مشروعا أرثوذكسيا قبطيا قد بدأ النسج لخيوطه فى ذات التاريخ - سنة١٩٤٨م.. وهو ليس مشروع أقلية دينية، لها مطالب دينية.. وإنما هو «**مشروع قومى.. عنصرى**» **يتحدث عن لغة خاصة ومختلفة.. وعن شعب مختلف -غير عربى- وعن أرض سليبة منذ أربعة عشر قرنا.. وعن ثقافة مختلفة -وقومية مختلفة.. وهو يتطلع إلى تغيير الهوية والخريطة- بالعودة إلى ما قبل أربعة عشر قرنا- مثلما أحدثت الصهيونية على أرض فلسطين!!..**

- وسيجد القارئ لهذا الكتاب، المتميز، كيف تبلورت خيوط هذا المشروع القومى العنصرى فى تنظيم [جماعة الأمة القبطية] سنة ١٩٥٢م.. وكيف حاولت هذه الجماعة إرغام الكنيسة على تبنى مشروعها القومى العنصرى سنة ١٩٥٤م.. فلما رفضت قيادة الكنيسة.. وحدث الصدام بين «**الأرثوذكسية- القومية**» وبين «**الأرثوذكسية- اللاهوتية**».. وحُلت جماعة الأمة القبطية -فى إبريل سنة ١٩٥٤م-.. تسلل المنظرون لهذا المشروع القومى العنصرى إلى الدير -تحت عباءة الرهبنة- فى يوليو سنة ١٩٥٤م -ليستولوا على الكنيسة بالانتخاب- فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧١م -بعد أن فشلوا فى الاستيلاء عليها- بالانقلاب -فى إبريل سنة ١٩٥٤م.. وليبدأ منذ

هذا التاريخ استئناف السعى لإحياء اللغة البديلة.. لغة الشعب القبطى.. شعب الكنيسة.. الشعب المسيحى.. ولتبدأ وتتواصل أحداث التوتر الطائفى والعنف والفتنة، التى أخافت الأرثوذكس، -دون غيرهم- فانسحبوا -دون غيرهم- إلى داخل «**دولة الكنيسة**»، التى أخذت فى التمرد على الدولة المصرية وعلى القوانين الحاكمة لكل المصريين -مستعينة فى ذلك بأقباط المهجر، الذين ينسقون العمل مع اللوبى الصهيونى واليمين الدينى فى أمريكا!..

- سيجد القارئ لهذا الكتاب «**جلاء الطبيعة الحقيقية لهذا المشروع**».. وعلاقاته بالمخطط الإمبريالى الصهيونى لقطع الطريق على مشروع النهضة الإسلامية.. حتى لقد قال أحد رموز هذا المشروع العنصرى -سنة ١٩٤٧-: «**إن دار الإسلام هى الحجاز فقط لا غير**»؟!.

- كما سيجد القارئ لهذا الكتاب : التمييز العادل بين عقلاء الأرثوذكس، الذين رأوا فى هذا «الحلم المجنون» كارثة تهدد وجودهم ومستقبلهم.. وبين أركان هذا «الحلم المجنون»، الذين أغرتهم نجاحات المشروع الصهيونى، فحلموا بالسير على دربه، واستنساخه -فى مصر- كنانة الله-!..

- تلك هى الميزة الأبرز لهذا الكتاب، عن أغلب -وربما عن كل- الكتابات التى كتبت عن الفتنة الطائفية فى مصر..

لذلك، كانت هذه الطبعة الجديدة لهذا الكتاب.. التى تأتى فى أعقاب ثورة ٢٥ يناير سنة ٢٠١١م.. تلك التى شهدت متغيرًا هامًا فى

موضوعنا، هو تمرد قطاعات من شباب الأرثوذكس على «دولة الكنيسة» - التى وقفت مع نظام حسنى مبارك.. وأرسلت قساوستها يهتفون له فى ميدان مصطفى محمود.. وأعلن محامى رأس الكنيسة -نجيب جبرائيل- أنه «سيسير مظاهرة مليونية تأييدًا لحسنى مبارك ضد الثورة -التى انخرط فيها عشرات الملايين من المصريين على نحو غير مسبوق فى تاريخ الثورات - لإزالة نظام العار الذى جثم على صدر مصر ثلاثين عامًا..

لقد تمرد قطاع من شباب الأرثوذكس على «دولة الكنيسة».. وانخرطوا فى ثورة يناير.. وانتزعوا ذواتهم الوطنية، عائدين إلى شعبهم المصرى، بعد أن سجنوا فى دولة الكنيسة لأربعة عقود!..

●●●

تصدر هذه الطبعة الجديدة لهذا الكتاب.. فى هذه الظروف الجديدة.. التى تتطلع فيها مصر إلى قيادة الشرق لبناء نهضة حضارية جديدة..

كما تضم هذه الطبعة الجديدة المزيد والمزيد من الحقائق.. ومن النصوص.. التى تزكى نهج العقلاء.. والتى تفند وتدين نهج الدهماء والعملاء.. وذلك حتى تعود كنانة الله فى أرضه إلى موقعها اللائق بها.. موقع الإمامة والريادة والقيادة لأمتها العربية وحضارتها الإسلامية.. إن شاء الله..

القاهرة فى: غرة رمضان ١٤٣٢هـ.

الموافق: أغسطس ٢٠١١م.

الدكتور
محمد عمارة

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

كانت مصر -منذ فجر التاريخ الإنسانى- منارة للتوحيد الدينى.. وللمدنية والحضارة.. ففى ربوعها، وعلى عهد آدم، -عليه السلام- بعث الله نبيه ورسوله «إدريس» عليه السلام الذى كان ثالث الأنبياء -بعد آدم وشيث-[1].. ﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٦، ٥٧].!..

وكما أرسى إدريس عليه السلام قواعد التوحيد الدينى، بمصر -منذ فجر التاريخ- كذلك أقام قواعد العلم والحكمة والمدنية والحضارة.. وبعبارة «ابن جلجل» [بعد ٣٧٢هـ - ٩٨٢م]: «**فلقد رسم تمدين المدن، وجمع له طالبى العلم بكل مدينة، فعرفهم السياسة المدنية، وقرر لهم قواعدها.. وعلمهم العلوم. وهو أول من استخرج الحكمة، وعلم النجوم، فإن الله، عز وجل، أفهمه أسرار الفلك وتركيبه، ونقط اجتماع الكواكب فيه، وأفهمه عدد السنين والحساب**»[2].

---

(١) عبد الوهاب النجار [قصص الأنبياء] ص٢٤- طبعة دار إحياء التراث العربى- بيروت.

(٢) المصدر السابق. ص٢٥، ٢٦ -نقلاً عن [أخبار الحكماء] للقفطى. وانظر -كذلك- (طبقات الأطباء] لابن جلجل -ص٥، ٦- تحقيق: فؤاد سيد- طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م.

فارتبط التوحيد بالمدنية والحكمة والحضارة فى تاريخ مصر وتراثها منذ فجر التاريخ.

● وفى مصر، عاش عدد من الأنبياء والمرسلين، الذين جددوا عقيدة التوحيد فى تاريخ المصريين القدماء.

ومن هؤلاء الأنبياء والمرسلين أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام الذى جاءها فى عصر الهكسوس [١٦٧٥-١٥٨٠ ق. م]..

وكذلك يوسف عليه السلام فى عهد الأسرة الخامسة عشرة التى بدأ حكمها سنة ١٦٧٥ق. م. -وأبوه يعقوب، وبنوه -عليهم السلام-..

كذلك، ولد ونشأ وبعث فى مصر موسى عليه السلام وأخوه هارون عليه السلام (حوالى سنة ١٢٠٠ق.م).. وعليه نزلت التوراة بلغة مصر -الهيروغليفية- قبل نشأة العبرية.

وإلى مصر لجأ المسيح عيسى ابن مريم -مع أمه- عليهما السلام.. ﴿**وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين**﴾ [المؤمنون: ٥٠].

● وإذا كان الله -سبحانه وتعالى- لحكمة بالغة- قد وصف أول أنبياء مصر -إدريس -«بالصديق».. فكذلك كان الوصف لإبراهيم: ﴿**واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا**﴾ [مريم: ٤١].. وليوسف.. ﴿**يوسف أيها الصديق**﴾ [يوسف: ٤٦].. ولأم عيسى: ﴿**وأمه صديقة**﴾ [المائدة: ٧٥].

● ولقد ظل التوحيد -مع المدنية- يشعان على أرض مصر عبر تاريخها الطويل.. يتجددان فيها ليغالبا الوثنية والتخلف اللذين يأتيانها فى ركاب الغزاة.

ففى ربوعها ارتفعت مناجاة «أمنحتب الثالث» [١٣٨٧-١٣٦٠ق.م.] لله الواحد الأحد:

«أيها الموجد دون أن توجَد.

مصوِّر دون أن تصوَّر.

هادى الملايين إلى السبل.

الخالد فى آثاره التى لا يحيط بها حصر».

وفى ربوعها تجدد التوحيد مع «أمنحتب الرابع» (أخناتون) [١٣٧٠-١٣٤٩ق.م] الذى ناجى الواحد الأحد:

«أنت إله ، يا أوحد، لا شبيه لك.

لقد خلقت الأرض حسبما تهوى، أنت وحدك.

خلقتها ولا شريك لك.

أنت خالق الجرثومة فى المرأة.

والذى يذرأ من البذرة أناسًا.

وجاعل الولد يعيش فى بطن أمه.

مهدئًا إياه حتى لا يبكى.

ومرضعا إياه فى الرحم.

وأنت معطى النفس حتى تحفظ الحياة على كل إنسان خلقته، حينما ينزل من الرحم فى يوم ولادته، وأنت تفتح فمه دائمًا،

وتمنحه ضروريات الحياة»[1].

● وعبر هذا التاريخ المصرى الطويل -تاريخ التوحيد والمدنية- غالبت مصر العديد من التحديات:

غالبت بداوة الهكسوس.. ودمار الغزوة الفارسية التى قادها «قمبيز» [٥٢٩- ٥٢٢ق.م].. والقهر الحضارى والدينى والثقافى والسياسى الذى فرضه الغرب الإغريقى -الرومانى- البيزنطى على الشرق، مدة عشرة قرون -من «الإسكندر الأكبر» [٣٥٦- ٣٢٤ق.م] -فى القرن الرابع قبل الميلاد -إلى «هرقل» [٦١٠- ٦٤١ق.م] -فى القرن السابع للميلاد-.

● وعندما غبش الرومان -إبان هذه الغزوة- التوحيد- الذى جدده المسيح عليه السلام.. رفعت مصر لواء النقاء لهذا التوحيد مع أسقف الإسكندرية «آريوس» [٢٥٦- ٣٣٦م] - الذى أعلن:

«إن الله جوهر أزلى أحد، لم يلد ولم يولد، وكل ما سواه مخلوق، حتى «الكلمة»، فإنها كغيرها من المخلوقات، مخلوقة من لا شىء. وأن المسيح

---

(١) دكتور عبد المنعم أبو بكر [أخناتون] طبعة القاهرة سنة ١٩٦١م.

لم يكن قبل أن يولد.. وأن الله قد نجاه من الصلب -الذى وقع على الشبيه...».

ولقد ظل هذا التوحيد يغالب شرك التثليث والوثنية حتى ظهر الإسلام، وجاءت الفتوحات الإسلامية [سنة ٢٠هـ - سنة ٦٤٠م] فحررت المظلومين من القهر الحضارى والدينى الذى فرضه الغرب الرومانى على الشرق لأكثر من عشرة قرون..

● ولقد شهد بهذا التحرير الإسلامى -للأوطان.. والضمائر.. والعقائد.. كل الذين شهدوه، ونعموا بآثاره فى العدل والحرية والأمن والأمان.. وكل الذين درسوه، بحياد وإنصاف.. فكتب شاهد العيان، الأسقف الأرثوذكسى- أسقف «نقيوس»- «يوحنا النقيوسى»، يقول:

«إن الله، الذى يصون الحق، لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لتجرئهم عليه، وردهم إلى أيدى الإسماعيليين- [العرب المسلمين]..

ثم نهض المسلمون وحازوا كل مدينة مصر.. وكان هرقل حزينًا.. وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا فى مدينة مصر، وبأمر الله الذى يأخذ أرواح حكامهم.. مرض هرقل ومات..

وكان عمرو -[بن العاص]- يقوى كل يوم فى عمله، ويأخذ الضرائب التى حددها، ولم يأخذ شيئًا من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئًا ما، سلبا أو نهبًا، وحافظ عليها طوال الأيام.

ودخل الأنبا «بنيامين» -بطريرك المصريين- مدينة الإسكندرية، بعد هربه من الروم فى العام ١٣ -[أى العام الثالث عشر من تاريخ هروبه]- وسار إلى كنائسه، وزارها كلها، وكان كل الناس يقولون: هذا النفى، وانتصار الإسلام، كان بسبب ظلم هرقل الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين على يد البابا «كيرس»- [البطرك المعين من قبل الدولة الرومانية فى مصر]..

وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر..

وخطب الأنبا «بنيامين» -فى «دير مقاريوس»- فقال:

«لقد وجدت فى الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما، بعد الاضطهادات والمظالم التى قام بتمثيلها المارقون..»(١).

● ولقد جدد هذه الشهادة -بعد خمسة قرون من الفتح الإسلامى - الأسقف- ميخائيل الأكبر» Michael The Elder [١١٢٦- ١١٩٩م] - بطريق أنطاكية اليعقوبى- فقال:

إن إله الانتقام، الذى تفرد بالقوة والجبروت، والذى يديل دولة البشر كما يشاء، فيؤتيها من يشاء.. لما رأى شرور الروم، الذين لجئوا إلى القوة، فنهبوا كنائسنا، وسلبوا أديارنا فى كافة ممتلكاتهم، وأنزلوا بنا العقاب فى غير رحمة ولا شفقة، أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم.. ولما أسلمت المدن للعرب، خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس

---

(١) [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى: رؤية قبطية للفتح الإسلامى] ص٢٠١، ٢٢٠ -ترجمة ودراسة: دكتور عمر صابر عبد الجليل. طبعة دار عين -القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

التى وجدت فى حوزتها.. ولم يكن كسبًا هينًا أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمسهم العنيف ضدنا، وأن نجد أنفسنا فى أمن وسلام..»[1].

●●●

● ومن علماء الغرب، الذين شهدوا لتحرير الفتوحات الإسلامية أوطان الشرق وضمائر شعوبه، العلامة سير توماس أرنولد [١٨٦٤-١٩٣٠م].. الذى قال:

«إنه من الحق أن نقول: إن غير المسلمين قد نعموا، بوجه الإجمال، فى ظل الحكم الإسلامى، بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلاً فى أوربا قبل الأزمنة الحديثة.

وإن دوام الطوائف المسيحية فى وسط إسلامى يدل على أن الاضطهادات التى قاست منها بين الحين والآخر على أيدى المتزمتين والمتعصبين، كانت من صنع الظروف المحلية، أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب وعدم التسامح..»[2].

● والعالم الألمانى الحجة «آدم متز» [١٨٦٩- ١٩١٧م] الذى قال:

«لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام»![3].

---

(١) سير. توماس أرنولد [الدعوة إلى الإسلام] ص٧٢، ٧٣- ترجمة: دكتور حسن إبراهيم حسن، دكتور عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوى -طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م.

(٢) المصدر السابق، ص٤٦١، ٤٦٢.

(٣) آدم متز [الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى] جـ١ ص١٠٥. ترجمة: دكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة -طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م.

وكذلك، شهد على هذه الحقيقة، من نصارى مصر، فى العصر الحديث:

● المؤرخ يعقوب نخلة روفيلة [١٨٤٧- ١٩٠٥م] -صاحب كتاب [تاريخ الأمة القبطية]- الذى كتب يقول:

«ولما ثبت قدم العرب فى مصر، شرع عمرو بن العاص فى تطمين خواطر الأهلين واستمالة قلوبهم إليه، واكتساب ثقتهم به، وتقريب سراة القوم وعقلائهم منه، وإجابة طلباتهم.

وأول شىء فعله من هذا القبيل: استدعاء «بنيامين» البطريرك، الذى اختفى من أيام هرقل ملك الروم، فكتب أمانًا وأرسله إلى جميع الجهات يدعو فيه البطريرك للحضور، ولا خوف عليه ولا تثريب. ولما حضر، وذهب لمقابلته ليشكره على هذا الصنيع، أكرمه، وأظهر له الولاء، وأقسم له بالأمان على نفسه وعلى رعيته. وعزل البطريرك الذى كان أقامه هرقل، ورد «بنيامين» إلى مركزه الأصلى معززًا مكرمًا.

وكان «بنيامين» موصوفًا بالعقل والمعرفة والحكمة، حتى سماه بعضهم «بالحكيم». وقيل إن عمرو لما تحقق ذلك منه، قربه إليه، وصار يدعوه فى بعض الأوقات ويستشيره فى الأحوال المهمة المتعلقة بالبلاد وخيرها. وقد حسب الأقباط هذا الالتفات منّة عظيمة وفضلاً جزيلاً لعمرو.

واستعان عمرو فى تنظيم البلاد بفضلاء القبط وعقلائهم على تنظيم حكومة عادلة تضمن راحة الأهالى، فقسم البلاد إلى أقسام يرأس كلًّا منها

حاكم قبطى ينظر فى قضايا الناس ويحكم بينهم، ورتب مجالس ابتدائية واستئنافية مؤلفة من أعضاء ذوى نزاهة واستقامة، وعين نوابًا من القبط، ومنحهم حق التداخل فى القضايا المختصة بالأقباط، والحكم فيها بمقتضى شرائعهم الدينية والأهلية. وكانوا بذلك فى نوع من الحرية والاستقلال المدنى، وهى ميزة كانوا قد جردوا منها فى أيام الدولة الرومانية..

وضرب -[عمرو بن العاص]- الخراج على البلاد بطريقة عادلة.. وجعله على أقساط، فى آجال معينة، حتى لا يتضايق أهل البلاد.

وبالجملة، فإن القبط نالوا فى أيام عمرو بن العاص راحة لم يروها من أزمان..»[1].

أى أن الفتح الإسلامى -بهذه الشهادة- قد:

- حرر الأرض والوطن.
- وحرر الضمائر والعقائد.. وكان «إنقاذًا» و«خلاصًا» للنصرانية الشرقية..
- وحرر دور العبادة -الكنائس والأديرة- وردها إلى أصحابها..
- وحرر الإنسان -وأمَّن الهاربين..
- وأشرك أهل مصر فى حكم البلاد، لأول مرة منذ عشرة قرون!..

---

(١) يعقوب نخلة [تاريخ الأمة القبطية] ص٥٤- ٥٧- تقديم: دكتور جودت جبرة- طبعة مؤسسة مار مرقس لدراسة التاريخ- القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

● وكـذلك، شهـد المؤرخ النصرانـى المعاصـر دكتـور جاك تاجـر [١٩١٨- ١٩٥٢م].. فقال:

«إن الأقباط قـد استقبلوا العـرب كمحررين، بعد أن ضـمن لهم العرب، عند دخولهم مصر، الحرية الدينية، وخففوا عنهم الضرائب..

ولقـد سـاعدت الـشريعـة الإسـلامـية الأقبـاط على دخـولهم الإسـلام وإدماجهم فى المجموعة الإسلامية، بفضل إعفائهم من الضرائب..

أما الذين ظلوا مـخلصين للمسيحية، فـقد يسر لهم العرب سبل كسب العيش.. إذ وكلوا لهم أمر الإشراف على دخل الدولة...»[1].

ذلك هو تاريخ مصر -فى التوحيد.. والمدنية-.

وتلك هى تقلباته بين قهر الغرب وتحرير الإسلام..

وهذه بعض شـهادات العلمـاء الأعلام -من غـير المسلمـين- على التحرير الذى أنجزته فتوحات الإسلام.

●●●

ولأن الإسلام قد أحيا مصر -بعد قرون من الموات والقهر الحضارى والدينى- فلقد تـبوأت مصر مكـانة القيادة والإمـامة والريادة فى تاريخ الإسلام. فخـدمت علوم الحضارة الإسلامـية فى مختلف مـيادين تلك

(١) دكتـور جاك [أقباط ومـسلمون منذ الفتح العـربى إلى عام ١٩٢٢م] ص٣٠٩، ٣١٥- طبعة الهيئات القبطية بالمهجر -مدينة جرسى- أمريكا- سنة ١٩٨٤م.

العلوم.. وغـدت «الكنانة» التى يرابط أهـلها على ثـغور الإسـلام فى مواجـهة كل محـاولات الغزو الغربى، التى اسـتمرت جـاهدة لإعادة اختطاف مصر والشرق من تحرير الإسلام..

- فمصر هى التى قادت التحرير من الغزوة الصليبية -التى دامت قرنين من الزمـان [٤٨٩- ٦٩٠هـ - ١٠٩٦- ١٢٩١م]-.. والتى مـثلت أشهر ألوان الاستعمار الاستيطانى فى التاريخ الوسيط..
- وهى التى كسـرت شوكة الغزوة التـترية [٦٥٨هـ- ١٢٦٠م]- التى هددت الحضارة والوجود الإسلامى.
- وهى التى تصدت للغزوة الصلـيبية الثانية -التى بدأت عـقب إسقاط غـرناطة [٨٩٧هـ- ١٤٩٢م].. حتى لقـد ذهب جيـشهـا فحـارب البرتغاليين على شواطئ الهند سنة ٩١٠هـ سنة ١٥٠٤م-..
- وهى التى ساعدت ودعمت ثورات التحرر الوطنى -ضد الاستعمار الغربى- بآسيا وإفريقيا- فى العصر الحديث..
- وهى الصـامدة -المتـحينة للفـرصة- بإزاء الاسـتعمـار الاسـتيطانى الصهيونى على أرض فلسطين..

●●●

ولأن هذه هى مكانة مصـر -فى المواجهة التـاريخية والحـضارية بين الغرب والإسـلام- استحقت أن تعـقد لها فى كتب التـاريخ الإسلامى

الأبواب التى تتحدث عن «فضائل مصر».. بل والكتب التى تؤلف تحت هذا العنوان[1].

وهى الكتب والفصول التى رصدت ما جاء عن مصر فى القرآن الكريم.. من مثل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧]..

﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١].

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠]..

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ [يوسف: ٢١]..

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [القصص: ١٥].

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القصص: ٢٠].

﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ [الزخرف: ٥١].

---

(١) انظر [فضائل مصر] لعمر بن محمد بن يوسف الكندى -تحقيق: إبراهيم أحمد العدوى، على محمد عمر- طبعة مكتبة وهبة- القاهرة سنة ١٩٧١م».. وكذلك ما كتبه المقريزى -فى الخطط- والسيوطى فى حسن المحاضرة -وابن تغرى بردى- فى النجوم الزاهرة -والنويرى- فى نهاية الأرب- والقلقشندى- فى صبح الأعشى -وابن سعيد -فى المغرب- وابن ظهيرة- فى محاسن مصر والقاهرة-.. تحت عنوان «فضائل مصر»..

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٧].

وغيرها من عشرات الآيات التى ورد فيها ذكر مصر بالقرآن الكريم:

● ومثل ما روى -فى فضل مصر- عن رسول الله ﷺ.. من مثل قوله:

- «ستفتح عليكم بعدى مصر، فاستوصوا بقبطها خيرًا، فإن لكم منهم صهرًا وذمة» رواه مسلم.

- «ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمة ورحمًا» رواه مسلم.

- «إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندًا كثيفًا، فذلك الجند خير أجناد الأرض، لأنهم فى رباط إلى يوم القيامة» رواه عمر ابن الخطاب، وأخرجه المقريزى فى [الخطط]..

● وإذا كان المسلمون قد فتحوا -وحرروا - الشام والعراق والخليج وفارس فى عام واحد.. فلقد استغرق فتحهم -وتحريرهم- لمصر خمس سنوات!..

وفى تحريرها هذا شارك من صحابة رسول الله ﷺ والجيل الفريد الذين رباهم الرسول، وصنعهم على عينه- أكثر من مائة من خيار الصحابة.. منهم:

الزبير بن العوام [٢٨ق.هـ. ٣٦هـ/ ٥٩٦-٦٥٦م].

والمقداد بن الأسود [٣٧ق.هـ- ٣٣هـ/ ٥٨٧-٦٥٣م].

وعبادة بن الصامت [٣٨ق.هـ- ٣٤هـ/ ٥٨٦-٦٥٤م].

وأبو الدرداء [٣٢هـ- ٦٥٢م].

وفضالة بن عبيد [٥٣هـ-٦٧٣م].

وعقبة بن عامر [٥٨هـ- ٦٧٨م].

وأبو ذر الغفارى [٣٢هـ- ٦٥٢م].

ومحمية بن جزء الزبيدى [٢٥هـ- ٦٤٥م].

ونبيه بن صؤاب.

ورافع بن مالك [٣هـ- ٦٢٥م].

وربيعة بن شرحبيل بن حسنة

وسعد بن أبى وقاص [٢٣ق.هـ- ٥٥هـ/ ٦٠٠-٦٦١م].

وعمرو بن علقمة.

وعبد الله بن عمرو بن العاص [٧ق.هـ- ٦٥هـ/ ٦١٦-٦٨٤م].

وعبد الله بن عمر بن الخطاب [١٠ق.هـ- ٧٣هـ/ ٦١٣-٦٩٢م].

وخارجة بن حذافة [٤٠هـ- ٦٦٠م].

وعبد الله بن سعد بن أبى سرح [٣٧هـ-٦٥٧م].

وأبو رافع -مولى رسول الله- ﷺ.

ومحمد بن مسلمة [٣٥ق.هـ-٤٣هـ/ ٥٨٩-٦٦٣م].

ومسلمة بن مخلد [١-٦٢هـ/ ٦٦٢-٦٨٢م].

وأبو أيوب الأنصارى [٥٢هـ-٦٧٢م].

ورويفع بن ثابت بن السكن الأنصارى [٥٦هـ-٦٧٦م].

وهبيب بن مغفل.

وكعب بن ضنة.

ومعاوية بن حُديج [٥٢هـ-٦٧٢م].

وعمار بن ياسر [٥٧ق.هـ- ٣٧هـ/ ٥٦٧-٦٥٧م].

وعمرو بن العاص [٥٠ق. هـ-٤٣هـ/ ٥٧٤-٦٦٤م].

وأبو هريرة [٢١ق.هـ- ٥٩هـ/ ٦٠٢- ٦٧٩م].

وغيرهم من صحابة رسول الله ﷺ[1]..

●●●

هذه هى مصر.. التى قال عنها قائد فتحها عمرو بن العاص: «**إن ولايتها جامعة، تعدل الخلافة**»..

والتى جاء فى المأثورات..

«**من أرادها بسوء كبه الله على وجهه**».

---

(١) [فضائل مصر] ص٣٧- ٤٠.

«ومن أراد أهلها بسوء صرعه الله».

والتى قال عنها سفيان بن عيينة [١٠٧-١٩٨هـ/ ٧٢٥-٨١٤م]:

«إنها كنانة الله، يحمل فيها خير سهامه»[١].

والتى صدَّق التاريخ على معانى هذه الأحاديث والمأثورات التى قيلت فيها.. فكانت -عبر تاريخ الإسلام- مقبرة الغزاة والإمبراطوريات الاستعمارية.. لأن أهلها -كما قال رسول الله ﷺ: «فى رباط إلى يوم القيامة..».

●●●

ولأن هذا هو تاريخ مصر -فى التوحيد الدينى.. وفى المدنية والحضارة-.. وتلك هى مكانتها فى الإسلام.. وفى مواجهة التحديات الصليبية والصهيونية.. كان التآمر عليها..

- فالصليبيون اعتبروا السيطرة عليها الشرط الضرورى لاحتلالهم للقدس الشريف!..
- وجمال الدين الأفغانى [١٢٥٤- ١٣١٤هـ/١٨٣٨-١٨٩٧م] سماها: «بوابة الحرمين الشريفين»!..
- والمنظمة الصهيونية العالمية اعتبرت تفتيتها شرطًا لتفتيت كل وطن العروبة وعالم الإسلام، فقالت: «إذا تفتتت مصر تفتت الباقون»!..

---

(١) [فضائل مصر]. ص ٤٥، ٤٦، ٤٩.

ولتحقيق هذه المقاصد المعادية، أعلن الأعداء عليها الحرب.. لا بالغزو الخارجى فقط -فهى قد تمرست على مواجهته-.. وإنما -أيضًا- بغواية الأقليات فيها -وفى محيطها العربى والإسلامى -لتصبح بين «المطرقة» و«السندان».. مطرقة التحديات الخارجية.. وسندان زعزعة الاستقرار فى جبهتها الوطنية الداخلية!..

ولكشف هذا المخطط -منذ مطلع عصرنا الحديث- نقدم هذه الدراسة، التى تحملها صفحات هذا الكتاب..

سائلين المولى -سبحانه وتعالى- أن تكون «نداء» يوقظ الأمة، لترى حقائق هذا الكيد الماكر الذى يكيده الأعداء.. الداخليون والخارجيون - لمصر.. والعروبة.. والإسلام..

القاهرة فى: رمضان سنة ١٤٢٩هـ
الموافق: سبتمبر سنة ٢٠٠٨م

الدكتور
محمد عمارة

●●●